العنوان:	التناص وأسلوبية الحضور والغياب
المصدر:	مجلة دراسات وأبحاث - جامعة الجلفة - الجزائر
المؤلف الرئيسي:	محمد، برونة
المجلد/العدد:	ع 13
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2013
الشهر:	ديسمبر / صفر
الصفحات:	38 - 48
رقم MD:	508940
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch, AraBase, EcoLink, HumanIndex, IslamicInfo
مواضيع:	السرقات الأدبية ، اللغة العربية ، التناص في اللغة ، الاستشهاد اللغوي ، الفسيفساء ، اللغويون العرب ، النص اللغوي ، الأسلوبية ، الحضور و الغياب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/508940

التناص وأسلوبية الحضور والغياب

الدكتور: برونـــة محمد
جامعة وهران – الجزائر

ملخص:

سنعالج في هذا المقال إشكال التناص العلاقة بين النصوص وحقيقة التفاعل بينها، وذلك في استحضارها؛ باستعادتها أو تقليدها، بل محاكاتها لنصوص أخرى سابقة أو معاصرة لها. فالنص الأدبي يمثل كتلة من الفسيفساء المتداخلة بالاقتباسات والمعاني التي أخذت وشربت معاني أخرى جديدة مطروحة في النص، كما ترى جوليا كريستيفا أنّ كلّ نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى.

إنّ أول من وضّح معنى التناص ومفهومه ؛ العالم الروسي ميخائيل باختين**M.Bakhtine** في كتابه (فلسفة اللغة)، واهتمام باختين بالتناص يدل على " الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص – أو لأجزاء – من نصوص سابقة عليها ، والّذي أفاد منه بعد ذلك العديد من الباحثين"[1]. ثم استوى بعد ذلك مفهوم التناص بشكل جليّ وكامل، على يد الباحثة الفرنسية جوليا كريستيفا **J.Kristéva**، التي أجرت استعمالات إجرائية وتطبيقية للتناص في دراستها (ثورة اللغة الشعرية) وعرّفت فيها التناص بأنّه، "التفاعل النصي في نص بعينه"[2].

فالتناص هو العلاقة بين النصوص وحقيقة التفاعل بينها، وذلك في استحضارها؛ باستعادتها أو تقليدها، بل محاكاتها لنصوص أخرى سابقة أو معاصرة لها. فالنص الأدبي يمثل كتلة من الفسيفساء المتداخلة بالاقتباسات والمعاني التي أخذت وشربت معاني أخرى جديدة مطروحة في

---

[1] – محمد بنيس– الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاته– ج3 : الشعر المعاصر، دار توبقال– المغرب– ط1، 1990، ص183–185.

[2] – شربل داغر– التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري– مجلة فصول– الهيئة المصرية العامة للكتاب– المجلد 16– ع1– القاهرة 1997 – ص 130–131.

النص، كما ترى جوليا كريستيفا أنّ "كلّ نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى"[1]، وعرّفته كذلك بأنه "أحد مميزات النص الأساسية، والتي تُحيل على نصوص أخرى سابقة عنها أو معاصرة لها"[2]، وهذا يعني أنّ كلّ نص لاحق ينبثق من خلايا وأنسجة نصوص سابقة، لذا، فإن رولان بارت **R.Barthes** يرى أنّ الأدب نص واحد "إذ (كل نص تناص) حيث إنّ النص يظهر في عالم مليء بالنصوص (نصوص قبله، نصوص تطوّقه، نصوص حاضرة فيه...) وهو بذلك يعيد توزيع اللغة، إنه يقوم بطريقة الهدم وإعادة البناء التي يخضع لها النص، والنص يمثل لانهاية اللغة، إنّ النص هو مجموعة من الاقتباسات المجهولة والمقروءة، والاستشهادات الاستنساخية، وهي التي تضمن إنتاجية النص وممارسته الدّالة عبر نسيجه المتشابك، والنسيج هو الأصل الاشتقاقي للنص."[3] لأنّ " كلّ نص يتوالد؛ يتعالق ويتداخل، وينبثق من هيولى النصوص في مجاهيل ذاكرة المبدع الإسفنجية، التي تمتصّ النصوص بانتظام، وتبثها بعملية انتقائية خبيرة، فتشتغل هذه النصوص المستحضرة من الذاكرة داخل النص، لتشكّل وحداتٍ متعاليةً في بنية النص الكبرى،"[4] فالعلاقات النصية لا يمكنها أن تكون ذات رؤية منفردة أو اتجاه فريد، فهي "غير أحادية السمة مع نصوص أخرى، فقد تكون علاقة تحويل، أو تقاطع، أو تبديل، أو اختراق،"[5]بعد أن يعيد المبدع تشكيلها، ورصّ بنيانها والتفنّن في نسجها كما تنسج العنكبوت بيتها، حتى تبدو مجموعة متراصة، متآلفة، دون خلل أو استعصاء. كما يعتبر التناص ظاهرة تركيبية بارزة في اللغة الشعرية للنص المعاصر، فكل قول لا يخلو من تناص، فكلام الناس كله فيه تناص- إلاّ كلام آدم عليه السلام!- متعمّدا أو غير متعمّد، وذلك يُعدّ حصادا لمخزونه المعرفي والثقافي، فلم يعد النص الشعري منغلقا أو نتاجا تلقائيا يقتصر على الامتلاء البريء، إنّما هو نص مفتوح يعتمد معارف سابقة مكتنزة في ذهن المبدع نتيجة اطّلاعه و قراءاته وثقافته التي يجب أن تكون واسعة، "لأنّ العمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدّة، تماما مثل الكائن

---

[1] - مارك أنجيلو - مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد- تر: أحمد المديني- عيون المقالات - الدار البيضاء- ط1- ص 102.

[2] - سعيد علوش- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة- دار الكتاب اللبناني- بيروت- سوشبريس- الدار البيضاء-ط1- 1985- ص215.

[3] - عمر أوكان- لذة النص، أو مغامرة الكتابة لدى رولان بارت- ص31.

[4] - صبحي الطعان- بنية النص الكبرى- ص446.

[5] - رجاء عيد- النص والتناص- ص193.

البشري، فهو لا يأتي من فراغ، كما أنّه لا يُفضي إلى فراغ، إنّه نتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث أدبي، وهو ندرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه"[1].

إنّ ذاكرة المبدع بحر في أعماقه أقوال وأفعال متعدّدة، ممّا يجعل نصّه على استعداد كامل لامتصاص خطابات ونصوص أخرى غائبة تدخل بين حنايا النص الحاضر الجديد، وتصبح جزءاً لا يتجزّأ من نسيجه اللغوي، حتى أضحى التناص دليلا بيّنا على ثقافة الشاعر، وحذاقة المتلقي/القارئ، كما صارت النصوص السّابقة خزّانا لأيّ مبدع ينهل منه كيفما شاء، ومتى شاء، "والوقوع في حال تجعل المبدع يقتبس أو يضمّن ألفاظاً وأفكاراً كان التهمها في وقت سابق ما، دون وعي صريح بهذا الأخذ المتسلط عليه من مجاهل ذاكرته، ومتاهات وعيه"[2]، وهذا ما يؤدي إلى تأسيس "نظرية تقوم على افتراض شيء غائب داخل شيء حاضر، هو النص الذي يقع بين أيدي الناس في صورته الأدبية النهائية"[3]. فبراعة المبدع تظهر في استغلال وحسن استخدام النص المتناص عبر السياق، والإفادة من مميّزاته في تقوية النّص الجديد ودعمه، "فالتناص شيء لا مناص منه، لأنه لا فكاك للإنسان من شروطه الزّمانية والمكانية ومحتوياتهما، ومن تاريخه الشخصي، أي من ذاكرته، فأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقّي أيضا."[4] شرط ألاّ يكون النص الجديد محشواً بكل كبيرة وصغيرة من محمولات النّص الغائب، قصد التباهي واستعراض المخزون الثقافي للمبدع.

وقد اتفق عدد كبير من الباحثين والنقاد الغربيين، على كنه مفهوم التناص، واستمرت الدراسات حوله، وتوسّع الباحثون في تناول هذا المصطلح، دون الخروج عن الأصل، ويحدد النّاقد الفرنسي جيرار جينيت **G.Genétte** أنواعا للتناص هي:[5]

1- **الاستشهاد؛** وهو الشكل الصريح للتناص.

2- **السرقة ؛** أقل صراحة.

---

1 – محمد عبد الله الغذامي– ثقافة الأسئلة– ص111.

2– عبد الملك مرتاض– فكرة السرقات الأدبية ومفهوم التناص– مجلة علامات– ص87.

3 – نفسه– ص 89.

4 – محمد مفتاح– تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص– ص123.

5 – ينظر محمد بنيس– الشعر المعاصر –ص 186.

3- **النص الموازي**؛ علاقة النص بالعنوان والمقدمة، والتقديم والتمهيد.

4- **الوصف النّصي**؛ العلاقة التي تربط بين النص والنص الذي يتحدث عنه.

5- **النصية الواسعة**؛ علاقة الاشتقاق بين النص (الأصلي/القديم) والنص السابق عليه(الواسع/ الجديد).

6- **النّصّية الجامعة**؛ العلاقة البكماء بالأجناس النّصّية التي يفصح عنها التنصيص الموازي.

ومن الباحثين والنقاد العرب، أسهب كلٌّ من:

- **محمود جابر عباس**،- على سبيل المثال لا الحصر- في تعريف التناص وذكر التحوّلات التي تطرأ على النص الجديد نتيجة تضمينه للنص الأصلي، فيحتفظ كل منهما؛ الجديد والقديم، بمزاياه وفرادته ومميزاته، على أنه يجب "اعتماد نص من النصوص على غيره من النصوص النثرية أو الشعرية القديمة أو المعاصرة، الشفاهية أو الكتابية العربية أو الأجنبية، ووجود صيغة من الصيغ العلائقية والبنيوية والتركيبية والتشكيلية والأسلوبية بين النّصّين."[1]

- و**عبد الملك مرتاض** يوضح التناص بدقة متناهية، حيث يقول: " فليس التناص في تصورنا، إلاّ حدوث علاقة تفاعلية بين نص سابق، و نص حاضر، لإنتاج نص لاحق."[2]

- و**محمد مفتاح** الذي حصر مفهوم التناص وآلياته في قسمين: الأول؛ **(التمطيط)**، والثاني؛**(الإيجاز)**، أما الأول؛ فيكون بالجناس والقلب والتصحيف،والشرح والاستعارة بأنواعها المختلفة، والتكرار والشكل الدرامي، وأيقونة الكتابة... والثاني؛ الإيجاز، وهذا الصنف هو الذي يحتاج إلى الشرح والتوضيح والتفصيل، حتى تكون هذه الآلية مدركة من قبل المتلقي/القارئ العادي، فالشاعر في مثل هذا لا يذكر إلا الأوصاف المتناهية في الشهرة والقبح.[3]

---

[1] - محمود جابر عباس- استراتيجية التناص في الخطاب الشعري العربي الحديث- علامات في النقد- ج46- م12- نادي جدة الأدبي- شوال 1423هـ- ص 226.

[2] - عبد الملك مرتاض- فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص- ص:82.

[3] - ينظر محمد مفتاح- تحليل الخطاب الشعري(استراتيجة التناص)- ص ص 126،127، 128،129.

ومن هنا، لابدّ أن يكون النّص السّابق مُحمَّلا بِقِيَم وتوجّهات صالحة لحلّ مشاكل في النص الحاضر الجديد، ويكون امتصاصه إثراء للنص الجديد، ليصبح حاملاً لدلالات كثيرة وكأنه خال من التناص، فالصور المتناصة تزيد النص الشعري قوة وغنى، "فإذا كان (النص) مقولة، يكون (التناص) هو الإجراء الذي تفرضه هذه المقولة"[1]. وبالتالي يُحمَّل النص الحاضر أكثر من وعي، لذا "فالتناص يقدم مفهوما جديدا لمصطلح (الكتابة)، ليست رسماً للأصوات اللغوية على الورق، بل تمثل وجوداً كلياً، له تفاعلاته الذاتية وقوانينه النوعية، كما يقدم مفهوما جديدا لمصطلح (النص)، فالنص (المكتوب حتما) يتّصف بصفات محددة بدونها قد يكون أثرا أو عملا أو ما شئت، لكن (النص) الذي يستحق هذه التسمية، ذو سمات جديدة تماما"[2].

وهكذا نجد أنّ المادة المتناصة تفرض وجودها بصورة رحبة وواسعة وعميقة عند المبدع الذي يمتلك مخزونا كبيرا من الثقافات من مختلف المشارب والمناهل؛ عربية وغير عربية، معاصرة وحديثة وقديمة، تتزاحم في ذهنه كلما استفزّتها المعاني القريبة من نصه، لأنّ "النضج الحقيقي لأي مبدع لا يتم إلاّ باستيعاب الجهد السابق عليه، فالارتداد للماضي، –أو استحضاره – من أكثر التقنيات فعالية في الإبداع الشعري،... وهو يعني وجود علاقة جماعية بين الخطاب الحاضر، والخطابات الغائبة على مستوى الإفراد، وعلى مستوى التركيب، وعلى مستوى الشكل، وعلى مستوى المضمون."[3] لذا يعتبر كل نص نافذة منفتحة ومستقبلة لنصوص أخرى تتفاعل مع نسيج الدلالة والسياق، لنحصل على نص دسم، تتراءى لنا من خلاله نصوص أخرى كثيرة ذابت بين أحضانه وفي ثناياه، وهذا التأثر بالسلف والأخذ من أفكارهم وإبداعاتهم الفنية ليس معناه أنّ أسلوب الشاعر وفرادته غائبان، لأنّ لكل شاعر ميزةً بل ميزاتٍ أسلوبيةً يتميز بها. كما أنّ "التناص لا يعني الاقتطاع أو التحويل، أو الاعتداء على النصوص الأخرى، وإنّما يتم ذلك التناص على وجه إبداعي يقوم على الاستيعاب والحوار، ومن ثَمّ الخلق والتصرّف، وهذا يعني أنّ التّناص يندرج فيما أسمته جوليا كرستيفا؛ إشكالية الإنتاجية النّصية التي تقوم على (الحوارية) و (الصوت المتعدد)"[4]. وعلى المتلقي أن يستنتج العلاقة الوطيدة بين ما هو غائب/سابق، وبين ما هو حاضر/لاحق.

---

[1] – محمد فكري الجزار– العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي – الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة– ط1– 1998– ص 174.

[2] – شكري عزيز ماضي– إشكاليات النقد العربي الجديد– المؤسسة العربية للدراسات والنشر– ط1–1997– ص 174.

[3] – – محمد عبد المطلب– هكذا تكلم النص– الهيئة العامة للكتاب– القاهرة– 1996– دط– ص 61–62.

[4] – ت.تودوروف و ر.بارت و أ.إكو و م.أنجيلو–– في أصول الخطاب النقدي الجديد– ترجمة وتقديم: أحمد المديني– ص 103.

وأجمع الباحثون والنقاد على أنّ **التناص** **intertextualité** هو "العلاقة بين نصين أو أكثر، وهي التي تؤثر في طريقة قراءة النص المتناص **intertexte**، أي الذي تقع فيه آثار نصوص أخرى أو أصداؤها". ويرى الحداثيون أنّ للتناص تعريفاتٍ شتى، إذ يرى الباحثان الإيطاليان بوغراند**Beaugrande** ودريسلار**Dressler**، التناص بأنه "ترابط بين إنتاج نص بعينه أو قبوله، وبين المعارف التي يملكها مشاركو التواصل عن نصوص أخرى"[1]، يرى موسى سامح ربابعة أنّ التناص "ظاهرة تشكل أبعادا فنية وإجراءات أسلوبية تكشف عن التفاعل وأشكاله المختلفة بين النصوص، إذ يقوم استدعاء النصوص بأشكالها المعددة؛ الدينية والتاريخية على أساس وظيفي يجسّد التفاعل الخلاّق بين الماضي والحاضر"[2]. وهناك رأي آخر يقول: " إنّ الوقائع التناصّية تقوم في تفاعلها وإنتاجها تبعاً لعلاقات مختلفة، قد تكون الاستعادة، أو التّذكّر، أو التلميح، أو إيراد الشّواهد، أو التّقليد، أو المحاكاة السّاخرة وغيرها ممّا نقع عليه من فنون أدبية، متعمّدة أو عفوية، بفعل (الاختطاف) أو (التّملّك)، أو بمفاعيل (الذاكرة) النّاشطة في الكتابة."[3]

فالتناص إذن، يشكّل نتاجا أو حصاداً من الثقافة الواسعة وثمرة من ثمارها، كما يقوم على إبراز التّفاعل النّصي الموجود في النّص نفسه، مع الإشارة إلى نصوص أخرى تقع في نطاق ثقافة المبدع، ووفق هذه العلاقات.

وموضوع التناص هو " تضمين نص لنص آخر أو استدعاؤه، أو هو تفاعل خلاّق بين النص المستحضِر والنص المستحضَر، فالنص ليس إلاّ توالداً لنصوص سبقته. "[4]وبهذا يؤدي التناص دور الرابط بين نصين أو أكثر، ويكون هذا الترابط وهذا التفاعل من المبدع اللاّحق إمّا طوعاً أو لازماً،" فإنّه لابدّ للتّناص من مصادر يستمدّ منها مادّته المتناصّة، وعليه يمكن تلخيص هذه المصادر في ثلاثة جوانب:

"1-**المصادر** "**الضرورية**": والتأثر فيها يكاد أن يكون طبيعيا أو تلقائيا، مفروضا ومختارا في آن... أي الموروث العام والشخصي،... كجنوح الشاعر إلى التأثر الواعي بشيء من نتاج شاعر آخر، أو تقيد الشاعر غير الواعي بالضرورة بحدود ثقافة وشعر توافرت له في إعداده وتعليمه،

---

1 – شربل داغر– التناص سبيلا– مجلة فصول – القاهرة– مج16– ع1– 1997– ص128.

2 – موسى سامح ربابعة– التناص في نماذج الشعر العربي– مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية– الأردن– ط1– 2000– ص7.

3 – شربل داغر– المرجع السابق – ص 129.

4 – موسى سامح ربابعة– التناص في نماذج الشعر العربي– مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية– الأردن– ط1– 2000– ص 97

وهذا ما يمكن أن نتبينه في "الوقفة الطللية" وهي أقوى المصادر القديمة،من دون شك، التي تقيدت بها صناعة الشعر العربي قديما.

2-**المصادر** "**اللاّزمة**": وهي ما يسمى بالتناص الدّاخلي وتشير إلى التناص الواقع في نتاج الشاعر نفسه... حيث إنها تخترق نتاجه اختراقا بيّنا.

3-**المصادر** "**الطوعية**": وهي "الاختيارية"عند مفتاح، التي تشير إلى ما يطلبه الشاعر عمدا في نصوص مزامنة أو سابقة عليه، في ثقافته أو خارجها، (وهي المطلوبة لذاتها)[1].

ونذكر أنّ للتناص آليةً ، وتكون للشاعر" بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان، فلا حياة له بدونهما ولا عيشة له خارجهما، وعليه، فإنّه من الأجدى أن يبحث عن آليات التناص، لا أن يتجاهل وجوده هروباً إلى الأمام"[2]. والأصل في التناص، أن يكون بمثابة قراءة ثانية للذاكرة، يعيد بعث الموروث من جديد، " وما من كتابة مبتكرة خالصة مائة بالمائة، دون أن تكون متأثرة بغيرها، بل هو امتزاج بين (الأنا) و(الآخر) السابق عليه ليكون في الأخير نصّاً جديداً إلى جانب النصوص الإبداعية الأخرى"[3]. ونظراً للتّشابه القائم بين الحدثين؛ (التراث/المعاصر)، أو البيئتين أو الموقفين أو الصورتين، وأكيد أنّ التراث – في كثير من الأحيان – يمثل الصورة الرّمز للواقع الّذي يعيشه الشاعر، والنص المتناص عليه أن يحقق ثلاثية زمنية ؛ ماض/حاضر/مستقبل حتى يصير نصا سخيا، ويؤسس لنفسه ظلاًّ، و إلاّ فهو، -كما يقول رولان بارت-: " نص بلا ظل، لأنّ النص الحقيقي في حاجة إلى ظله بشكل لازم"[4]-، فتتزاوج الرؤى لتنجب لنا نصّاً مزيجاً من حضارتين وموقفين اجتمع فيهما الماضي بالحاضر ، بل يستدعي الحاضر الماضي ليستحمّا في نهر النّص الحاضر ، لأنّ من أهم خصائص التناص، استحضار الماضي، " لأنّه ، – أي التناص– من أكثر الظواهر فعالية في عملية الإبداع الشعري، حيث يحدث تماس ، يؤدي إلى تشكيلات تداخلية، قد تميل إلى التماثل، أو التناقض، وفي كل ذلك يكون للنص موقف محدد إزاء هذا التماس الذي يصل في بعض الأحيان إلى درجة التنصيص."[5]

[1] – ينظر شربل داغر– التناص سبيلا–ص 133.

[2] – محمد مفتاح– تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)– ص 125.

[3] محمد طه حسين– التناص في رأي ابن خلدون– مجلة فكر ونقد– العدد 32– أكتوبر 2000/ ص127.

[4] – رولان بارت– لذة النص– تر: فؤاد صفا و الحسين سبحان– دار توبقال للنشر– الدار البيضاء– دط– 1988–ص: 37.

[5] – محمد عبد المطلب – قراءات أسلوبية في الشعر الحديث– الهيئة المصرية العامة للكتاب– ط1–1995– ص:163

والنص المتناص تتوالد في أحشائه نصوص سابقة ومعاصرة ، كما تتراكم فيه بنيات من نصوص سابقة أو محايثة ، إذ إنّ النص يجب أن يخرق منفذاً، منه يستنبط المبدع رواسب الماضي، وحيثيات الحاضر، ورؤى المستقبل ، "والشاعر يحاول تمثل التراث في العديد من قصائده وعلى أكثر من مستوى، فهو يستقي منه بعض رموزه وأقنعته، ويضمّن شعره إشاراتٍ متفرّقةً إلى موروث القول من شعر ونثر"[1]، وأيسر المنافذ وأثراها بالنسبة للشاعر هو التراث، الذي هو ملك لكلّ المبدعين، وبذلك يصير إرثاً، لأنّ "التراث هو ذلك الإرث الذي وصلنا على مرّ العصور والأزمان، والذي لا يزال ماثلاً في حياتنا، ممَثَّلاً في جميع ما أنتجته عقول الأجيال السّابقة، وما أوحت به قلوبُهم من عبقرية أبنائه."[2] ويبقى التراث –دائما – هو المنبع الرئيس والرافد الأساس، وبالتالي "تتجاوز صلة الشاعر بتراثه دائرة الماضي لتحتضن الحاضر أيضا، وتتخطى استدعاء النصوص وموروثات القول القديمة لتشمل توظيف الأسماء البارزة كرموز وأقنعة وشخصيات."[3]ولذا يرى تودوروف**T.TODOROV** "أنه من الوهم أن نعتقد بأن العمل الأدبي له وجود مستقل، إنه يظهر مندمجا داخل مجال أدبي ممتلئ بالأعمال السابقة، إن كل عمل فني يدخل في علاقة معقّدة مع أعمال الماضي التي تكون حسب المراحل التاريخية، تراتبية مختلفة."[4] ويؤكد ميشال أريفي **M.Arrivé.** في دراسته " للغات جاري "**langages de Jarry** أنّ التناص هو "مجموع النّصوص التي تدخل في علاقة مع نص معطى، هذا التناص يمكن أن يأخذ أشكالاً مختلفة، الحالة المحدودة هي بدون شك مكوّنة من مجموع المعارضات، حيث التّناص يكون مجموع النصوص المعارضة"[5] ومن هاهنا، يمكن القول، إنّ التناص امتداد واستحضار في الوقت نفسه، فالمبدع يتفاعل مع ما ومن سبقه في رحاب الإبداع المختلفة، ويسعى إلى توظيفها وفق ما يخدم النص الحاضر، محافظا على فرادة النص وتميُّز المبدع، وتنجم عن هذا رؤى وأفكاراً جديدة، "

---

[1] – علي جعفر العلاق– الشعر والتلقي، دراسات نقدية– دار الشروق– عمان– ط1–1997– ص132.

[2] – عباس الجراري– من وحي التراث–مطبعة الأمنية– الرباط–دط– 1971 ص 44.

[3] – علي جعفر العلاق– المرجع السابق– ص 135.

[4] – أنور المرتجي – سيميائية النص الأدبي– إفريقيا الشرق– الدار البيضاء– المغرب– دط– 1987–ص 45. أو ينظر:
T.Todorov- "Catégorie du récit littéraire" Communication n°8-P126.

[5] – أنور المرتجي – المرجع نفسه– ص 46.

فكل ما يكتب من نصوص، له شفرات وأصول قديمة، بعضها يُدرك، وبعضها شفرات منسية (أصول منطمسة) لا ندركها، وإن كنّا لا نستطيع أن ننفيَ وجودها"[1].

يتشكل ذلك التفاعل النصي لإقامة علاقات مع نصوص أخرى قد تكون حميمة، وقد تكون مناقضة للموقف والحدث الذي يعيشه الشاعر المبدع، " وهناك صنفان من أصناف التفاعل النصي، أما الأوّل فهو التفاعل النصي الخاص، وهو أن يقيم نص علاقة مع نص محدد، كأن يسير نص في المدح مثلا على منوال نص آخر معروف، وأما الصنف الثاني، فهو التفاعل النصي العام، وهو ما يقيمه نص ما من علاقات مع نصوص عديدة مع ما بينها من اختلاف على صعيد الجنس والنوع والنمط، كأن يأخذ قصيدة شعرية فنجد الشاعر يوظف فيها مختلف مكوّناته الأدبية والثقافية في صورة شعرية تفاعل فيها مع شعراء سابقين، وفي أمثال وأحاديث أو آيات ضمّنها أو اقتبسها مستعملا ما (نقله) عن غيره للدلالة على المعنى نفسه، أو معطِيًا إياه دلالات جديدة أو مناقضة تماما."[2] ومن هنا يمكن أن نستخلص أن التّضمين، والاقتباس، والتأثر، كلها تندرج ضمن عملية وآلية التناص، " والقضية الأكثر حيوية وأهمية وخطورة في مسألة تفاعل النصوص، هي أن النصوص لا تتفاعل بوصفها مجرد نصوص، ولو كانت كذلك لصحّ النظر إلى تفاعلها على أنها مجرد اقتباس أو تضمين أو تأثر بمصادر معينة، يستطيع أن يحدّدها القارئ الخبير المطّلع، ولكنها تتفاعل بوصفها ممارسات دلالية متماسكة، إنها تتجاوز وتصطرع وتتزاوج، وينفي بعضها البعض الآخر، أو باختصار عندما تتفاعل نصّيا، تتفاعل بوصفها أنظمة علامات متماسكة لكل منها دلالته الخاصة به، وهذه الأنظمة عندما تلتقي في النص الجديد، تسهم متضافرة في خلق نظام ترميزي جديد، يحمل على عاتقه عبء إنتاج المعنى أو الدلالة في هذا النص."[3]
هكذا كانت حال الشاعر الجاهلي، وبقي عليها شعراء العصرين الإسلامي والأموي وما بعدهما. " فأصبحت معاني الشعراء السابقين نبعاً ثرياً يمتاح منه الشعراء اللاّحقون، ومن ثمّ، فقد أصبح تداول المعاني ظاهرة عامة شائعة بين الشعراء،" ولذا فإن التناص أو التّداخل النصي ينهض "

---

[1] – أحمد مجاهد– أشكال التناص الشعري، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية– الهيئة المصرية العامة للكتاب– ط1– 1998– ص: 387.

[2] – سعيد يقطين– الرواية والتراث السردي– المركز الثقافي العربي– الدار البيضاء، بيروت– دط–1992–ص18.

[3] – عبد النبي اصطيف– التناص– مجلة راية مؤتة– مج2– عدد2– كانون الأول1993– ص 53.

على تخوم نصوص أخرى، فهو لا يلغي خصوصيته الإبداعية، بل على العكس، يؤكد سماته المتميزة بوصفه نصّا قائما بذاته تجاوز غيره وتخطاه."[1]

وقد أشار **رولان بارت**، من خلال نص قد يكون **لستاندال،Stendhal** إذ قال: "وإنّي مولَع بسيطرة الصِّيغ، وقلْب الأُصول، واسْتِخفاف النّص الجديد بالنّص السابق،"[2] ويؤكد **بارت في** هذا السياق بقوله في التناصية(**inter-texte**):"استحالة العيش خارج نصّ غيرِ متناهٍ، سواء أكانَ بروست **Proust**، أم جريدة يومية، أم شاشة تلفاز:فالكتاب يؤسس المعنى ويصنعه، والمعنى يؤسس الحياة ويصنعها."[3]

وأشار كثير من الباحثين والنقاد، إلى أنّ الممارسة الأدبية "هي تجسيد لذاكرة نصية، وبحضورها يقوم الأدب؛ إنّ **مالارميه Malarmé** لا يرى في الأدب سوى عملية "إرجاعية"، و **ميشال بوتور M. Butor** يعتبر أنّ كلّ إبداع أدبي ينتج داخل مجال محاصَر بالأدب، إنّ كل رواية أو قصيدة، كلّ كتابة جديدة هي مشاركة داخل المنظر السابق، ويقول **بورجيس Borgés** : إنّ جميع الأعمال الأدبية هي من صنع كاتب واحد غير زمني **Intemporel** و غير معروف **Anonyme**."[4]

وما لاحظناه، أنّ مفهوم التناص – كغيره من المفاهيم الحداثية– متعدّد الشروح والتفاسير، حسب تعدّد الدارسين، إذ "يتغيّر من باحث إلى آخر طبقاً لطريقة فهمه لطبيعة النص، فإنّه يندرج عند البعض في إطار الشعرية التكوينية، وعند البعض الآخر ضمن جماليات التلقي، كما يتجه مفهوم التناص للاقتران بمفهوم الحقل، بوصفه معارضة سجالية لمفهوم البنية التي تعترض على أفكار الإدماج والاقتران والجدولة. غير أنّ هذه الاختلافات لا تحرمه من الوظيفة النقدية الخصبة."[5]

---

1 – يوسف اليوسف– مقالات في الشعر الجاهلي– منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي–دمشق –دط– 1975–ص165.

2 – ROLAND Barthes– Le plaisir du texte– Ed. du Seuil–Paris– 1ère Pub.– 1973–P.59.

3 – Ibid–P.59.

4 – نور الدين السد– الأسلوبية وتحليل الخطاب– دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع– الجزائر– دط د ت – 100/2.

5 – صلاح فضل– شفرات النص، دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد– دار الآداب– القاهرة–ط1–1999–ص116.

وهذه التعدّدية في مفاهيم التناص إنّما تندرج ضمن خصوصيات النقد الحداثي المتعدد الرؤى والذي يبيح ويجيز نظرية الاختلاف، ومن هنا فهو يتموضع بين أسلوبيتين مختلفتين لكنهما متكاملتان، ونقصد أسلوبية الاختيار وأسلوبية الانحراف، تلك المتصلة بالمبدع وتلك المتصلة بالنص والمتلقي، وبهذا يمكن للتناص أن يندرج في إطار ما يدعى بشعرية الحضور والغياب، وقد تكون العناصر الغائبة ...أشد حضوراً من تلك الحاضرة، لما لها من تأثير على المتلقي يحفزه على استدعاء النص الغائب...